جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES

# مدخل الى الفكر الإسلامي

الأستاذ : البوعزاوي مصطفى

شعبة الدراسات الاسلامية

## الفصل الثاني /فوج 6

## السنة الدراسية 2021/2020

# الفكر الإسلامي: دراسة مفاهيمية

**أ-الفكر الإسلامي لغة:**

لغة : يؤخذ لفظ "الفكر" في اللغة العربية من المادة اللغوية : ف-ك-ر ، و والتي تدل على تردد القلب في الشيء يُقال تَفَكَّرَ إذا ردد قلبه معتبرا ورجل فِكِّير على وزن سِكِّير كثير التفكر. و الفكر: إعمال النظر في الشيء. و يُقال في اللغة كذلك الفِكْرُ: ترتيب الأمور في الذهن يُتَوَصَّلُ بها إلى مطلوب قد **يكون علما، و قد يكون ظنا.**

و جاء في المعجم الوسيط أن الفكر:" إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول والفكرة الصورة الذهنية لأمر ما.

و نخلص من خلال مختلف هذه المعاني اللغوية، إلى أن الفكر يدل على: نشاط ذهني يقوم على إعمال العقل في الشيء و ترتيب ما يُعلم للوصول به إلى مجهول، أي: إعمال العقل في المعلوم للتوصل به إلى معرفة المجهول.

**ب-الفكر في الاصطلاح**

أعطيت للفكر في الاصطلاح تعريفات مختلفة ومتعددة و منها:

*الراغب الأصفهاني في مفرداته، حيث عرفه بقوله: "قوة مُطْرِقَةٌ للعلم بالمعلوم و التفكر جَوَلاَنَ تلك القوة بحسب نظر العقل و ذلك للإنسان دون الحيوان".

**- إعمال الخاطر في الشيء، وإعمال العقل في الشيء وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول.

وعند الفيومي في المصباح المنير:تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني". ويقال:" الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أوظنا

**– تعريف الدكتور بسام جرار: "الفكر هو إمعان النظر والتأمل في الأشياء الحسية والمعنوية من أجل الوصول إلى حقيقته"

**شرح التعريف:**

–قوله الحسية (المادية): أي مثل أن نمعن النظر لمعرفة أسباب تمدد الحديد بالحرارة أو لمعرفة صدئه.

–قوله المعنوية: مثل أن نمعن النظر لمعرفة أسباب قيام الحضارات، و سقوطها و تداول الأيام بين الأمم و الشعوب

.نخلص من خلال هذه التعريفات كلها سواء في اللغة أو الاصطلاح إلى المعاني الآتية:

*–أن الفكر بمعنى إعمال النظر و التأمل في مجموعة من العارف للوصول إلى تحقيق معرفة جديدة

**–أن الفكر بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير.وبذلك يمكن أن يكون الفكر:

–**مرادفا للنظر أو التدبر والتامل**،

–**التفكر مرادف للاستدلال** لأنه بالفكر يمكن أن تستدل على مطلوبك ( أي ما تطلبه).

–**التفكر مرادف للِاعْتِبَارْ** و ذلك أن الاتعاظ يحصل بعد التفكر و التأمل و التعقل –التفكر مرادف التأمل، لان الفكر يدل على رغبة وأملٍ لما فيه فائدة.
دراسة مفاهيمية للفظ "إسلامي".

## ج– عبارة إسلامي:

صفة للفكر فهو بذلك ضابط مُحَدِّدٌ و يدل على المنتسب إلى الإسلام و تنحصر فائدته في تحديد المعنى المراد من مفهوم الفكر الإسلامي إذ " الإسلامية" هي الإطار الذي به و عليه و حوله تدور مجموع نظرات و تأملات المفكرين المنتمين إلى المذهبية الإسلامية.

## الفكر الإسلامي: الدلالة والأبعاد

من أبرز هذه التعريفات:

أ- كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى اليوم في المعارف الكونية المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان الذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكًا.

ب- كل ما ألفه علماء المسلمين في شتى العلوم الشرعية وغير الشرعية،

ت- كل نتاج للعقل البشري الموافق لمنهج الإسلام، وبعبارة أخرى: فقه الوحي وفهم رجال هذا الفكر له، ثمّ شروحهم عليه، أو الحكم على الواقع من وجهة نظر الإسلام، أو المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا به.

*-عندما يضاف الفكر إلى الإسلام أو يوصف الفكر بأنه إسلامي فإن المفهوم يتأثر كذلك بالمنطلقات المشار إليها سابقًا, فإما أن يراد به كيفية عمل العقل وما يلحق به من القوى المدركة لدى الإنسان في ضوء الإسلام, ولذلك عرفه بعضهم بأنه "المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا به". وقد لحظ صاحب هذا التعريف بأن هذا المعنى الكيفي للفكر المتمثل في حركة الذهن للانتقال من المعلوم إلى المجهول ونحو ذلك من التعبيرات المختلفة التي تؤدي المعنى نفسه هو ما استخدمه الأقدمون مثل (ابن سينا) و(الرازي) و(ابن خلدون). ولخصها( الجرجاني) في تعريفاته بقوله:" الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول". وهذا التعريف يربط بين الفكر والمنهج، ويلزم معه الإلمام بمدلول المنهج في اللغة ثم كمصطلح.(المنطلقات التي تحكم عمل المفكر)

وبعد، فإنه يمكن أن يعرف الفكر الإسلامي في ضوء الخصائص الآتية:

-**الجمع بين عمل** الفكر كأداة وبين ما ينتجه الفكر من ثمرة للتفكير.

-**أن ينصب الفكر الإسلامي** على الناحية التنظيرية دون العملية.

-**أن يعرف الفكر الإسلامي** بأنه فكرٌ موجه أو بعبارة أنسب ملتزم، ولكن في ضوء تعاليم الإسلام فلا يتوافر الفكر في ظل الإسلام على الخوض فيما نهى عنه الشارع, ولا يتحرر من الضوابط الشرعية والأخلاقية, ولا يدخل فيما ثبت عن الله وعن رسوله-صلى الله عليه وسلم-وما أجمعت عليه الأمة, وإنما يدافع عن ذلك، ويظهر حكمة الشارع فيه، ويلتمس العلل والمقاصد والبراهين والمسوغات لذلك في الحدود المشروعة بمنهج نقدي مؤصل ينفي ما علق بالفكر الإسلامي من مغالات المغالين وتفريط المفرطين.

-لا ينطوي التعريف على منع البحث في المعارف والعلوم التي تقوم عليها حياة الإنسان على الاكتشاف والابتكار وإعمال العقل فيما خلق له، وهذا ما حققه الفكر الإسلامي, فقد أسهم بقسط وافر في تأصيل كثير من النظم والقوانين الحضارية التي أصبحت بمثابة الأسس للحضارة الحديثة.

مما سبق يتضح، أن الفكر الإسلامي، لا ينصرف في الأداة المفكر بها ، أو الغاية المحققة بالتفكير عن الضابط الشرعي، لأنه، مقيد بالشرع في أفقه التفكيري، ومجاله الاجتهادي، نظرا وعملا. لهذا يعتبر القرآن المكون الأساس للفكر الإسلامي.

إذا كان الإنسان مميزًا مكرمًا بالعقل بما يستلزمه هذا من اختزان الصور، والقدرة على استدعائها، وربط الأسباب بالنتائج بشكل أو بآخر، بساطةً أو عمقًا، فإن الفكر وإدراك المعلومات يُصبِح شيئًا من طبيعة هذا المخلوق يمارسه، فيُعمِل عقله حين يجد نفسه حيالَ مشكلة من المشكلات، باحثًا لها عن حل، في ضوء المبادئ السائدة وظروف البيئة التي يتوجه إليها بالخطاب.

## متى نشأ الفكر الإسلامي؟

### -محطات في تاريخ الفكر الإسلامي:

بدأ الفكر الإسلامي ببداية **نزول الوحي على الرسول الأعظم** سيدنا محمد، حيث اشتمل الوحي في البداية على الدعوة إلى التفكر والتدبر في الكتابين المنظور والمسطور للوصول إلى حقيقة معرفة الله وإثبات وجوده، ونفي الشريك عنه.

نشأ الفكر الإسلامي بنشأة الإسلام، وتشكلت مبادؤه وقيمه، ولما تضمنه من المبادئ والقيم والأحكام في ضبط السلوك العام والخاص.

لقد استمد الفكر الإسلامي مشروعيته من القرآن ذاته للاعتبارات التالية:

**-**__**طبيعة النص القرآني الذي يستفز العقل**__، ليتأمل في آياته، وسر الإعجاز فيه

**-**طبيعة النصوص **القرآنية التي تحث وترغب على التأمل والتفكر** المنظم؛ فالقرآن وجه المسلمين إلى النظر المفضي إلى العمل وكره لهم التناظر والجدال في أصول العقيدة وفروعها.

**-**__**إن بداية الاجتهاد بالرأي هي بداية النظر العقلي.**__

**-**لأن القرآن جادل وحاور المناوئين له من أتباع الديانات السماوية والوضعية كالصابئين والنصارى واليهود والمجوس والذين أشركوا، ورد شبههم التي كانت تثار حول عقائد الدين الجديد؛

فقد :

أ- جادل اليهود في النبوة والألوهية ، حيث كانوا أشد الناس عداوة للدين الجديد

ب- جادل النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام وبنوته

ت- جادل الملحدين المنكرين لوجود الله

ث- جادل المشركين في شركهم واتخاذهم الأوثان آلهة تعبد

ج- جادل الصابئة في عبادة الكواكب

ح- وقد ذكر القرآن هذه الأديان في سورة الحج" إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا".

والصابئة: قوم يقرون بالألوهية ويرون أننا نحتاج في معرفة الله ومعرفة أحكامه إلى متوسط، لكن ذلك المتوسط يكون روحانيا لا جسمانيا ، ففزعوا إلى هياكل الأرواح وهي الكواكب ، وهم عبدة الكواكب"[1] .

لقد تناول الجدل مع باقي الأديان : القضايا التالية:

-شؤون الألوهية والرسالة

*-البعث والآخرة

*-الملائكة والجن والأرواح

ويقول النظر العقلي المستمد من القرآن على العناصر التالية:

أ- نهى عن الجدال والتناظر في شؤون الألوهية، وأن القرآن قد قرر تلك العقائد.

ب-أن الجدال والمناظرة ينبغي أن ينصب في أمور الفقه، والكون والقرآن والإنسان. وهي أنظار مشتتة في القرآن الكريم والسنة المطهرة سوف تأخذ شكلها المنظم في الراحل المقبلة. حيث ستبرز علوم ذات صبغة منظمة ومرتبة يتميز بعضها عن بعضها لكنها تتقاطع في أنها ميدان النظر العقلي في الإسلامي، منها:

علم الكلام، وعلم السلوك، وعلم الفقه، والعلوم المادية كالفلك والرياضيات والطبيعيات، والعلوم اللغوية والأدبية كالنحو والبلاغة والصرف والقاموس اللغوي، وغيرها من العلوم التي تستمد مشروعيتها من الشريعة أصالة وتبعا.

والقرآن وهو يجادل كان يقدم تصوره السليم حول الكون والألوهية والإنسان؛

*- الكون من حيث نشأته، وغاية النشأة.

*-الألوهية من حيث إفراد الله تعالى في صفاته وأسمائه وأفعاله.

*-الإنسان من حيث أصله ووظيفته ومصيره، والغاية من وجوده

[1] -تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: 108

## 2-محطات في تاريخ الفكر الإسلامي:

### في المرحلة الأولى: مرحلة التأصيل

كان القرآن يؤسس القواعد والمبادئ لتدبير شؤون المجتمع الجديد في مختلف القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية. ولم تتبلور في هذه اللحظة علوم عقلية بعينها، وإنما مثلت المرحلة النبوية، مرحلة التأسيس للنظر العقلي.

### المرحلة الثانية: مرحلة التنزيل والممارسة

تبدأ مع وفاة رسول الله حيث ستنشأ قضايا تدفع الفكر الإسلامي،أن يخوض فيها، لبلورة أفكار وتصورات ورؤى تنطلق من المصادر الإسلامية. وقد طفا إلى السطح مشكل الخلافة، وما أعقب الفتوحات الإسلامية، حيث بدأت معها حركة فكرية واسعة شملت ميادين شتى سياسية واجتماعية ولغوية وتشريعية وفنية وأدبية....

عند مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، عرف المجتمع الإسلامي هزات أفضت إلى بروز نواة مذاهب مزجت قضاياها بالدين . وهكذا يمكن أن نعتبر مشكل الخلافة هي عقد الميلاد الرسمي لنشأة الفكر الإسلامي وقيام الفرق السياسية والكلامية.

**ما ميز المرحلة الثانية هو:**

- أنه لم يظهر البحث والجدال في مسائل العقيدة إلا في أيام الصحابة حين ظهرت بدع وشبه اضطر المسلمون إلى مدافعتها حيث ظهر خلاف القدرية الذين خاضوا في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي ، ونشأ علم الكلام

- أن النظر العقلي في المسائل الشرعية العملية نشأ مؤيدا من الدين وهو نوع من التفكير كان المسلمون مستعدون لنموه نظرا للحاجة إليه.

-خلت المرحلة الأولى والثانية من التأثير الفلسفي اليوناني الذي فعل فعله في توجيه النظر العقلي.

### المرحلة الثالثة: مرحلة البناء والتنظير

مرحلة البناء والصياغة، عرفت علوما نبتت وأينعت في حضن الإسلام عبرت عن خصوصية إسلامية خالصة . وقد أفرزت ثلاثة علوم لها تعلق بالاجتهاد بالرأي

1-علم أصول الفقه وهو المنهج الذي يعتمد عليه الفقيه في استنباط الأحكام من الأدلة إجمالا، ويشمل أربعة أركان الأحكام، والأدلة والدلالات، والاجتهاد.

2-علم الكلام: صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الشريعة، وتزييف كل ما خالفها من الأقاويل.>

3-علم التصوف، وهو العلم الذي تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية.

**المرحلة الرابعة: مرحلة التأثر بالمؤثرات الخارجية**

التأثر بالمؤثرات الخارجية من فلسفة يونانية وأفكار غنوصية وإشراقية، وقد أفرز هذا التأثر مواقف تباينت بتباين منطلقاتها وغاياتها وأسلوب معالجتها لتلك القضايا.

حيث دخلت الفلسفة اليونانية والمنطق على خط القضايا المهمة في الفكر الإسلامي، وتسللت آراء إشرقية وغنوصية إلى التصوف السني الإسلامي، غيرت لا محالة من وجهة التفكير.

# مصادر الفكر الإسلامي

والمراد بالمصادر العناصر التي يستمد منها الفكر الإسلامي موضوعه، وطريقة اشتغاله، ومجال الاشتغال. وتنقسم إلى قسمين:

الأولى: هي المصادر الداخلية : القرآن والسنة وكذا اجتهادات الصحابة

الثانية: المؤثرات الخارجية التي سوف تصبح مكونا ثانيا، ويتعلق الأمر بالفلسفة اليونانية، والفلسفات الشرقية.

**أ-المكونات الداخلية: القرآن الكريم، والسنة النبوية**

*- **القرآن الكريم**، فالقرآن هو المكون الأساس للفكر الإسلامي، بلا منازع، لأن محور الفكر والنظر في البدء لم يخرج عن موضوعات القرآن الكريم، باعتباره الكتاب الذي شكل العقول والأنفس، وصاغ الحياة خلافا لما كانت عليه قبل النزول. فالقرآن كتاب الله (كلمات

وحروف)، فلم يكتب حف من حروفه بشر، صاغ عقول المؤمنين، وشكل أذهانهم، ، وجمع المتناثر الصالح، وركبه، وجرده ولخصه من تفكير الجاهلية الشارد، كما رسم قواعد النظر والفكر ،إلى جانب قواعد الحياة الطبيعية، وقوانينها الفيزيقية، ووضع قواعد السلوك الإنساني، ملأ كل الفجوات، ووضع الصور الكاملة، فهو كتاب شامل، وضع الخطوط العريضة للكون كله.

فكان لا بد لهولاء المؤمنين الذين نزل فيهم القرآن الكريم، أن يلتمسوا فيه أصول فكرهم، وأن يطمئنوا، ويقنعوا بأحكامه الكلية، وأن يجتهدوا ما وسعهم الجهد في ما أناطه لهم فيه من المجالات.

لقد فتح القرآن للمؤمنين المجالات الواسعة، ليتفكروا ويتدبروا، وأناط بهم مهمات الاكتشاف، والاستنباط والاستقراء، والاستنتاج، في المحيط الواسع من القضايا النظرية والعملية.

لقد ميز القرآن بين نوعين من الحقائق: الأولى حقائق توقيفية، يعجز العقل مجازاة حقائقها واختراقها قبل والآن وبعد، فهي ثابتة، لا تتبدل ولا تتغير. والثانية: حقائق توفيقية، وجه العقل إليها، فاندفع في نطاقها، فأبدع العلم، وأقام الحياة.

*-**السنة النبوية الشريفة**، فالسنة تعتبر المكون الثاني الداخلي للفكر الإسلامي، وهي لا تقل أهمية وتأثيرا عن القرآن في مجال تشكيل الفكر الإسلامي، وصياغة قضاياه، وتنزيل أحكامه في المجال العملي، الخاص والعام.

فالسنة قامت بوظيفتي الإفهام ولإعمال، فوجهت الفكر نحو القضايا التي يجوز أن يشتغل عليها الفكر الإسلامي في مجال الألوهية، والإنسان والعالم، والزمان، وغير ذلك. لهذا تلمس فيها المسلمون منذ البدء، مادة فكرهم وعلمهم.

- **الله في القرآن:**

أعلن القرآن أن الله تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وأنه يفعل في ملكه ما يريد، وهذا مقابل التفكير اليوناني الخاص بالألوهية. كما أعلن فكرة الخلق، من أن الله هو الخالق المتفرد بذلك، وأنه أوجد العالم من العدم، وبهذا أنكر قدم المادة، وأعلن بدء الزمان. وقد أنكر سرمدية المادة، حين أعلن أن للزمان نهاية حتمية.

فكل ما يتعلق بالوجود الغيبي، قدم فيه القرآن حقائق، لا قدرة لأي مخلوق على اختراقها.

- **العالم في القرآن الكريم**: وهو الكون الفسيح العريض الذي لا يعلم منتاه إلا خالقه، وقد نص القرآن على أن الله خلق الأرض، وموج الماء، وأقام الجبال، ليعده مكانا للإنسان..وعرض للقوانين التي تحكم الوجود، وهو خالقها؛ كقوانين العلية والسببية، والتعاقب، وفتح المجال للنظر العقلي في هذه القوانين، من حيث إنها أبدية أو غير أبدية، ثابتة أو متحول، بديهية أو مسلم بها.
- **الإنسان في القرآن الكريم**، فالإنسان في تصور القرآن خلق في أحسن تقويم، فعلى قمة الكون ظهر آدم جميلا، صوره الله فأحسن صورته، وجعله مزاجا من ملاك وحيوان، ، أنار فيه المعرفة، وضع فيه الفضيلة والخطيئة، أنزله الكون لكي يبني ويخرب، ويقيم ويهدم، اعتبره مسؤولا عن كل فعل من أفعاله، ترك الإنسان بين الخير والشر يتردد بينهما، ولكن اكتساب أحدهما بيده، والله بكليهما عالم بعلمه القديم الذي لا يحد.، ووضع الثواب في عالم آخر غيبه عنا.
- **الزمن في القرآن الكريم**

هي التصورات القرآنية حول الألوهية، والعالم، والإنسان والزمان، بدأت تتردد في كيان المسلمين، فسار فيها مسارين:

الأول الخاص بالحقائق التوفيقية أنتج به العلم التجريبي

الثاني الخاص بالحقائق التوقيفية، أنتج به العلم النظري

وعموما، فكل من اشتغل بالتفكير في الإسلام استند في البدء على القرآن ، ولهذا شغلت حقائق القرآن كل نواحي الفكر الإسلامي تجريبا كان أم نظريا، وأخذ الكتاب العزيز يمد كل فكر إما بحقائق مؤيدة لمذهبه، أو بحقائق تخالف مذهبه. ولكنه كان دائما مركزالدائرة.

**ب-المصادر الخارجية**

لقد ابتدأت الآراء الفلسفية تنتشر بين المسلمين باختلاطهم بالفرس والرومان واليونان، وهولاء كانت عندهم للعلوم الفلسفية منزلة كبيرة، وكانت بالعراق مدارس فلسفية، كما في فارس قبل الإسلام مثلها، وقد تعلم الفلسفة بعض العرب في هذه المدارس، كالحارث بن كلدة، وحين جاء الإسلام إلى هذه البلدان وجد سكانها يجيدون علوم الفلسفة، وقد كان خالد بن يزيد بن معاوية من أوائل من تعلم الفلسفة. وهكذا وجدت الفلسفة بحوث كثيرة في القرآن ومنها: هل الصفات في القرآن غير الذات؟ وهل الكلام صفة الله؟ وهل القرآن مخلوق؟ ثم تجمع الكلام في القدر وصار إلى إرادة الإنسان، أيعد فاعلا مختارا قادرا على ما يفعل أم يعد فيما يفعل كالريشة في مهب الريح ليس لها إرادة تحركها؟

**أ-نموذج الفلسفة اليونانية:**

ماهي الفلسفة اليونانية؟ وكيف أصبحت مؤثرا أساسا في الفكر الإسلامي؟ وما هي القضايا التي اشتغلت عليها؟

****ماهي الفلسفة اليونانية؟**

إن الفلسفة عند المفكرين اليونانيين خاصة الأوائل، منهم كانت تعني المعرفة الخالصة التي لا يقصد من ورائها منفعة أو غاية عملية، وإنما هدفها البحث عن الحقيقة والاهتداء

إليها، فهي تبحث في شؤون الكون والإنسان بحثا منظما، يقوم على تفسير الوجود والكشف عن كنهه، معتمدين في ذلك على التفكير المنطقي والبرهان العقلي.

لقد ركز الفلاسفة اليونانيون الحكماء عن طبيعة الأشياء، حيث ركزوا على العناصر التي تشكل أصل الكون. متجهين هكذا بفلسفتهم نحو العالم الخارجي. أي: نحو البحث في أصل العالم ومحاولة تفسير الطبيعة والوجود.

فأول من تفلسف، وكانت له نظرية فلسفية هو طاليس الذي يعتبر الماء أصل الكون، حيث اتجه هو وأصحابه بتفكيرهم إلى محاولة تفسير الوجود والكشف عن كنهه.

****كيف أصبحت الفلسفة اليونانية مؤثرا أساسيا في الفكر الإسلامي؟**

كان السريان واسطة في نقل الثقافة إلى أقصى الغرب، وهم الذين أخذوا الثقافة اليونانية من الإسكندرية وأنطاكية ونشروها في الشرق وحملوها إلى مدارس الرها ونصبين وحران وجنديسابور، حيث اشتغلت هذه المدارس على الفلسفة تدريسا وتعليما إلى جانب أدوارها الدينية المتعلقة بتعليم الدين المسيحي، ونشره. وقد كانت الأديرة المكان الملائم للتأمل الفلسفي في هذه المدارس. حيث أفرد هولاء حياتهم للتأمل التي يحياها المعرضون عن الدنيا.

ومن المدارس التي نقلت العلم اليوناني إلى المسلمين مدرسة حران التي عمل أهلها على الترجمة والتأليف. فالترجمة نشطت كذلك مع السريان، حيث ترجموا مجموعة من الكتب في الطب والفلسفة، وممن اشتهر في القرن السابع الميلادي منهم، يعقوب الرهاوي(640-708) الذي ترجم كتب اليونان في الإلهيات، وأفتى بأنه يجوز للقسس النصارى أن يقوموا بتعليم أبناء المسلمين العلم اليوناني.

لقد عني السريان بمنطق أرسطو، وظلت شهرة أرسطو عند السريان كما ظلت عند العرب زمنا طويلا تكاد تكون قاصرة على المنطق وحده. وقد عرفوا من منطقه: المقولات، وكتاب العبارة، وكتاب القياس

لقد كان العرب يعتبرون اللغة السريانية أقدم اللغات، أو يعدونها اللغة الصحيحة، حيث نقلت العلوم اليونانية من السريانية إلى العربية، وممن اشتغل مبكرا بذلك الأمير خالد بن يزيد الأموي، وكان قد اشتغل بالكيمياء، بإرشاد راهب نصراني، فترجم كتابا في الكيمياء إلى العربية. وكذلك جمعت الأمثال والحكم والخطابات والوصايا وجمع كل ما له علاقة بتاريخ الفلسفة بوجه عام، لكن لم ينقل العلم اليوناني في الطب والفلسفة والمنطق واللسان بشكل رسمي إلا في زمن المنصور العباسي.

وقد أخذ ابن المقفع وهو مجوسي الأصل بنصيب كبير في هذه الحركة، وقد ضاع الكثير مما ترجم في العهد الأول وأول ترجمة وصلتنا يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجري في عصر المأمون ومن جاء بعده

كان معظم مترجمي القرن الثالث الهجري من الأطباء من أمثال يوحنا بن بطريق الذي ترجم قصة طيماوس لأفلاطون، وكتاب أرسطو في الآثار العلوية، وكتاب الحيوان وأجزاء مأخوذة من كتاب النفس.ويقالإن عبد المسيح بن عبد الله ناعمة ترجم كتاب سوفسطيقا أو الأغاليط لأرسطو، وأن قسطا بن لوقا البعلبكي ترجم شرح الأفروديسي، وشرح جون فيلوبون، على السماح الطبيعي. وكان أبو زيد حنين بن إسحاق ت 260 وإبنه إسحاق بن حنين ت 298 أوفر المترجمين إنتاجا.. وقد توالى النقل في القرن العاشر مع أبو بشر متى بن يونس وأبو زكريا يحي بن عدي وابن زرعة . ويكاد نشاط الترجمة متنذ أيام حنين بن إسحاق يكون مقصورا كله على الكتب المعزوة إلى أرسطو.

# خصائص الفكر الاسلامي

يمتاز الفكر الإسلامي بكثير من الخصائص والصفات النوعية الواضحة التي تُميزه عن كثير عن غيره من الأفكار والنظريات،وتمنحه الحيوية والقدرة على الحركة والعطاء والنمو، ومن هذه الخصائص:

**أولاً: الربانية**

ونعني بها: الانتساب إلى رب العالمين – سبحانه وتعالى –، ويطلق على الإنسان أنه: " رباني" إذا كان وثيق الصلة بالله، عالماً بدينه وكتابه، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: من الآية79].

والمراد من الربانية هنا أمران:

**أولاً: ربانية الغاية والوجهة.**

**ثانياً: ربانية المصدر والمنهج.**

فأما ربانية الغاية والوجهة: فنعني بها: أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى وابتغاء مرضاته، ومما لا شك فيه أن هذا له فوائد وآثار جمة منها: أن يعرف الإنسان لوجوده غاية، ويعرف لحياته رسالة، وأن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها والتي تَطلبُ الإيمانَ بالله تعالى، ولا يُعوضها شئ غيره، وكذلك من هذه الثمار: سلامة النفس البشرية من التمزق والصراع الداخلي، فلا يُريحُ النفس البشرية شئ كما يُريحها وحدة غايتها ووجهتها في الحياة. ومن ذلك أيضاً: التحرر من العبودية للأنانية والشهوات، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية والرغبات الشخصية.

أما ربانية المصدر والمنهج: فنعني بها أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته

وأهدافه منهج رباني خالص، لأن مصدره وحي الله تعالىِ إلى خاتم رسله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

**ثانياً: إنساني النزعة**

فهو يمتاز بنزعته الإنسانية الواضحة الثابتة الأصيلة في معتقداته وعباداته وتوجيهاته، إنه دين الإنسان. فهو ليس فكراً عنصرياً ولا إقليمياً ولا طائفياً، فهو لا يخدمُ عِرقاً بعينه ولا فئة معينة. لذا وجدنا كلمة "الإنسان" تكررت في القرآن (63) ثلاثاً وستين مرة وكلمة "الناس" تكررت (240) مئتين وأربعين مرة.

هذه النزعة الإنسانية الأصيلة في الإسلام هي أساس هام لمبدأ الإخاء البشري، ومبدأ المساواة الإنسانية العام الذي دعا إليه الإسلام، وهي أساس هام كذلك لمبدأ الحرية الذي قرره الإسلام.

**ثالثاً: الشمول**

ولقد عبر الشهيد (حسن البنا) عن أبعاد هذا الشمول في رسالة الإسلام فقال وأجاد: " إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة".

فالفكر الإسلامي ليس موقوتاً بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهي أثره بانتهائه، كما أنه ليس محدوداً بمكان ولا بأمة ولا بشعب ولا بطبقة إنه يمتاز بالشمول، يخاطب كل الأمم وكل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات. كذلك نجد هذا الشمول يتجلى في العقيدة والتصور،ويتجلى في العبادات والتقرب، ويتجلى في الأخلاق والفضائل،ويتجلى في التشريع والتنظيم. ولعل السبب الأساسي لسعة الفكر الإسلامي وشموله، هو سعة وشمول المصادر التي يعتمدها هذا الفكر.

**رابعاً: الوسطية والتوازن**

وهي من أبرز خصائص الفكر الإسلامي، ويعبر عنها أيضاً بـ " التوازن ". ونعني بالوسطية: التوسط أو التعادل بين طرفين بحيث يأخذ كل طرف حقه ولا يطغى على الطرف الآخر، والوسطية والتوازن واضحة جلية في الفكر الإسلامي حيث تتجلى في كثير من مفردات هذا الفكر منها: التوازن بين العقل والوحي، وبين العلم والإيمان،وبين المادة والروح،وبين الحقوق والواجبات،وبين الفردية والجماعية،وبين النص والاجتهاد،وبين المثالية والواقعية،وبين الحاضر والمستقبل،وبين الدنيا والآخرة وبين الثبات والمرونة.

**خامساً: الجمع بين الثبات والمرونة**

ومن الخصائص التي يتميز بها الفكر الإسلامي والتي لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية: " التوازن بين الثبات والتطور "، أو " الثبات والمرونة ". والثبات يدل على الخلود والمرونة تدل على التطور وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين وآية من آيات عمومه وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان. ويتجلى هذا الثبات في المصادر الأصلية القطعية للتشريع المتمثلة بالكتاب والسنة وتتجلى المرونة في "المصادر الاجتهادية" التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق مثل الإجماع والقياس والامتحان والمصالح المرسلة وأقوال الصحابة وشرع من قبلنا.

كما نجد الثبات يتمثل في العقائد الأساسية والأركان العملية الخمسة والمحرمات اليقينية وأمهات الفضائل وفي شرائع الإسلام القطعية، كما تتجلى المرونة في الوسائل والأساليب وفي الفروع والجزئيات والشئون الدنيوية والعلمية. وإذا كان بالمثال يتضح المقال، فلا بأس أن نذكر هنا مثال لتوضيح ما قلناه: يتمثل الثبات في مثل قو له تعالى في وصف مجتمع

المؤمنين: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [لشورى: من الآية38]. فلا يجوز لحاكم ولا لمجتمع أن يلغي الشورى لأنه من الثوابت الإسلامية. وتتمثل المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى إنما يُتركُ للناس وزمانهم ومكانهم.

**سادساً: يحترم العقل ويُقدره**

فقد أعطى الفكر الإسلامي العقل دوراً بارزاً ومهمة أساسية فللعقل حق الفهم والاستنباط واكتشاف المعارف والمفاهيم والنظريات من القرآن والسنة وإسنادها إلى الله تعالى "وكان من احترام هذا الفكر للعقل أن كانت معجزته عقلية وليست معجزة حسية، فالمعجزة القرآنية تقوم على البيان والمعاني والتشريع والنظر والتدبر والتفكر. وأن حظ العقل في هذا الفكر أوفر من حظه في أي مذهب عقلي خالص".

**سابعاً: الواقعية**

حيث جاء الفكر الإسلامي لكي يعالج واقع الإنسان كفرد وواقعه كمجتمع، أي أنه فكر بعيد عن الخيال أو الوهم، فقد عالج مشاكل الإنسان واحتياجاته وترتيب علاقاته وتنظيم قوانينه العامة، والخاصة فهو لم يكن فكراً مثالياً نظرياً وإنما كان مثالياً منسجماً مع العمل والتطبيق. فعلى سبيل المثال لم يهمل الفكر الإسلامي العادات والتقاليد، ولم يغفل عن الأعراف العامة الصحيحة، ولا عن العلاقات والمعاملات بين الأفراد، وعن كل ما يُسهم في وحدة المجتمع وإحكام تماسكه وهذا يعني أن الفكر الإسلامي لا يغفل الإنسان، وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم.

**ثامناً: الوضوح**

فهو فكر واضح جلي بعيد عن الغموض والتعقيد والضبابية، فهو ينسجم مع فهم الإنسان

وقدراته العقلية. فالفكر الإسلامي واضح في كل مفرداته سواء ما يتعلق بالأصول والقواعد أم بالمصادر والمنابع، أم بالأهداف والغايات، أم بالمناهج والوسائل.

**تاسعاً: يُقدر الخبرة الإنسانية والتجارب البشرية**

بحيث لا يضع الحواجز والسدود بينه وبين خبرات الأمم السابقة، بل إنه فكر منفتح يتعامل مع الجميع ويستفيد من خبرات الآخرين، على اعتبار أن التراث الإنساني ملك للجميع وهذا دليل على أن هذا الفكر لا يَغمِط الناس حقهم ولا يُنكرُ فضل أهل الفضل.

# مجالات الفكر الإسلامي

ينطوي مفهوم الفكر على شيء من الغموض؛ لأنه استعمل في معانٍ متنوعة بل ومختلفة تراكمت بمرور الزمن حتى أصبح إطلاقه دون تحديد موقعًا في اللبس. وكذلك مسمى الفكر الإسلام ولا سيما أن هناك استعمالات عدة لمسمى الفكر الإسلامي منها ما وسع دائرة الفكر الإسلامي حتى أدخلت فيه الفلسفات الغريبة عن الإسلام والتيارات المنحرفة عن صراطه المستقيم؛ لأن تلك الفلسفات والتيارات ذات:

أصول هندية ومجوسية وثقافات يهودية ونصرانية : ثم يحسب ذلك على الفكر الإسلامي . ولا يخفى ما تهدف إليه مثل هذه الاستعمالات للفكر الإسلامي من إيحاءات بأن الإسلام وفكره ملفق من تلك الأصول الفلسفية والثقافية الأجنبية، وأنه ثمرة طبيعية للتراث اليهودي دون أدنى احترام للمنهج العلمي في النظر والبحث والمقارنة؛ لذلك، ولكون الفكر بعامة والفكر الإسلامي بخاصة له أصالته, وله وجوده في المصادر العربية الإسلامية– فإنه ينبغي تأصيل هذا اللفظ في اللغة والاصطلاح وتجليته كمفهوم وصولا إلى تحديده كمصطلح في العصر الراهن. إذا كان من المقرَّر أن التفكير عمليةٌ ترتبط بوجود الإنسان وامتلاكه لقدراته واستخدامه لها، وأن الفرق في ناتج هذه العملية هو في الكَمِّ لا في النوع – مع التجوز في استخدام لفظتَي الكم والنوع هنا – وأن لكل فكرٍ مبادئه ووسائله وغاياته.

---

أقول :حين يتقرَّر هذا – من وجهة نظرنا على الأقل – فإن المسلمين لا بد أن يُمارِسوا التفكير، وأن يكون لهم فكرٌ يتمايز عن غيره بمقدار ما يلتزم مبادئه ومعتقداته، ويستمر وجوده وفاعليته بقدر ما يقدم للحياة من عطاء تحتاجه الحياة، ويسهم في خدمة الأحياء وبصفة خاصة الإنسان، وإذا كان الفكر عملية يمارسها كل الناس، فإن التفكير العلمي خاص بالعلماء.

**ولذا فنحن نَعني بالفكر الإسلامي ما أنتجه وما ينتجه العقلُ** المسلم من خلال تعامله مع النصوص الإسلامية وَفْقَ منهج علمي؛ ذلك أن بحوث علماء المسلمين في أية قضية إنما تجمع بين اجتهادهم كمطلب للبحث لا بد فيه من إعمال العقل، ونصوص من الكتاب

والسُّنة يستندون إليها نقطة انطلاق ومرجع تحكيم، كل ذلك في ضوء ربط نتائج البحوث بحياة الناس في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية.

فهناك موضوع للفكر هو المشكلات المتعلقة بالدِّين والفكر والحياة، وهناك منهج عقلي لتناوله، وهناك إلى جانبِهما مرجعية معينة أو أصول مرعيَّة في ضمير المجتمع وثقافته، وهذا حال كل فكر اجتماعي فيما أزعم، والفرق إنما يتمثَّل في نسبة الالتزام بهذه المرجعية، ومراعاة هذه الأصول الفكرية، والاستهداء بتلك المبادئ المشتركة في التماس الحلول، فقد يتفاوت ذلك كله من حالة إلى أخرى.

وللفكر الإسلامي دون مراءٍ وضعية خاصة في هذا الصدد، ومن حيث قوة الالتزام – ولو في زعم المؤلِّف وحسب تأويله الخاص – بأصول الشريعة المتضمَّنة في القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة، والراسخة في ضمير الأمة باعتبارها مصدرَ الشرعية العليا، والتي تتيح للفكر الذي يظهر بين المسلمين أن يوصف بأنه (فكر إسلامي.

ووَفْقَ هذا الفهم لمعنى الفكر الإسلامي عرَفت الحضارة الإنسانية علومًا إسلامية دار بعضها حول النص القرآني؛ أمثال علوم اللغة والتفسير ونحوها، كما كان بعضها بيانًا لِما جاء في المصادر الإسلامية (الكتاب والسنة) من عقائد، وسنن اجتماعية، وضوابط تفكير، فكانت علوم العقيدة، ومناهج البحث، وعلوم أصول الحديث والرجال ونحوها، كما كان بعضها استجابةً لدعوة الإسلام إلى إعمال العقل، والتأمُّل في الكون؛ مثل الكيمياء، والفلك، والرياضيات، ونحوها، وهكذا كان المفكر المسلم مستجيبًا لضوابط عقيدته، وحاجات الحياة حوله.

والحق أن الأمر بالنسبة للفكر والمفكر المسلم، يختلف عنه في كل حضارة أخرى أو فهم آخر؛ لأن الفكر مِن أول الأمر – وهذا ما يجب أن نؤكِّده دائمًا – قد ارتبط بأصول الإسلام، وهي واضحة بأدلَّتها، بالإضافة إلى أن منهج الإسلام – سواء في مجال علوم الدين، أو في مجال العلم والفلسفة بوجه عامٍّ – منهج عقلي، ولم تكن المشكلةُ في الإسلام هي مشكلةَ التوفيق بين الدين والعقل، بل فهم الدين بالعقل.

ووَفْقَ هذا الفهم ينبغي أن نُدرك الفرق بين قدسيَّة المرجع في الفكر الإسلامي، وعملية التفكير ذاتها بما تنتجه من علوم ومعارف؛ إذ يجوز على التفكير باعتباره جهدًا بشريًّا أن يخطئ وأن يصيب، وفي الإسلام لكلٍّ مقدارٌ من الأجر، لكن مرجعية هذا الفكر مَصُونة مقدَّسة؛ لأنها إذا كانت قرآنًا فهو من لدن حكيم خبير، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ]النساء: 82]، وإذا كانت سُنةً صحيحة فهي مرعية بالوحي من الله سبحانه، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

# تحديات الفكر الاسلامي

نشأ الفكر الإسلامي في حضانة الدعوة الإسلامية وجذوره مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتاريخ الإسلام تباعاً من لدن الخلفاء إلى آخر المجددين للفكر الإسلامي لتمثل كل هذه المعطيات المرجعية الكاملة للفكر الإسلامي وهو بذلك لم يكن فكراً مبتوراً لا أصل له، شأن بقية الأفكار الوضعية. «وقد كانت قواعد الفكر الإسلامي الأساسية قد بدأت ونمت في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وأن هذه القواعد لم تتغير من بعده ولم تجد أية إضافة إليها فظلت في قيمتها الأساسية كما جاء بها وحي السماء وقامت سنن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها وتطبيقها، إنما جرت حركة العمل من داخل الإطار الذي رسمه القرآن ولقد كان نضال المسلمين ضد الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الإسلام بمفهوم «السنة الجامعة» وهزمت جميع، محاولات السيطرة والاحتواء والغزو الفكري بلغة العصر وبقيت الحقائق الأساسية».

فإن كانت ثمة تحديات واجهت الفكر الإسلامي في بواكير الدعوة الإسلامية وعهدها الأول، إثر انفتاحها نحو المجتمعات الأخرى التي لها معتقداتها التي تختلف عن الإسلام فإن تحديات الفكر الإسلامي المعاصرة لا تقل ضراوة عن التحديات السابقة بل تتفوق عليها في التعقيدات بحكم انتشار العلم ووسائطه وصيرورة العالم قرية واحدة

يمثل نشاط المستشرقين جانباً من التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي « اثأر المستشرقون الشبهات حول الإسلام والتشكيك في طبيعته التي ميزته عن سائر الأديان باعتباره منهج حياة ونظام مجتمع وإثارة والشبهات حول نبي الإسلام».

تأتي خطورة الاستشراق في أنه يخاطب طبقات مثقفة من أبناء المسلمين لذلك كانت نتائجه في الجانب العقدي لها أثرها على الفكر الإسلامي.

كما يمثل الغزو الفكري تحدياً آخر للفكر الإسلامي حيث ينفث سمومه التي تخالف الفكر الإسلامي وتتناقض مع السلوك الإسلامي فمذاهب كالماركسية والوجودية والفرويدية

تدعو إلى أفكار تناقض القيم الإسلامية «وتحاول المذاهب الوجودية والفرويدية أن تشكك في ثبات القيم الأخلاقية وارتباطها بالإنسان والدعوة إلى أخلاق تختلف باختلاف البيئات ويدخل في هذا: تلك النظريات التي طرحها فرويد وسارتر ودوركايم. وأخطر ما يواجه المسلمين من هذه النظريات الوافدة المطروحة في أفق الفكر الإسلامي أن يظن البعض أنها علوم ومفاهيم علمية مقررة».

من التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي الدعوة إلي **إثارة العصبية والعنصرية** وإعلاء الأجناس، ويدخل في ذلك إذكاء الدعوة إلى الإقليميات والقوميات الضيقة للقضاء على روح الوحدة الإسلامية. حيث طفحت على السطح انعكاسات هذه الدعوات على ما عرف بالقومية العربية التي ظهرت كمنافس للحركات الإسلامية بالعالم العربي مما يعني بالضرورة إزاحة الفكر الإسلامي بل والتشكيك فيه «لقد كان هدف هذه الدعوة إعلاء شأن القوميات حتى في الأمم الإسلامية ذاتها فضلاً عن فصل هذه الأمم الإسلامية وفصل العرب عن الامتداد الإسلامي،

ومن أخطر التحديات التي واجهت الفكر الإسلامي **إحياء الماضي السابق للإسلام في** البلاد العربية والإسلامية جميعاً، كالدعوة إلى الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية في البلاد العربية وإحياء تراث كورش في إيران أو الهندوكية في البلاد الهندية الإسلامية وغيرها في باقي أجزاء العالم الإسلامي، كمحاولة لإحياء تاريخ ما قبل الإسلام وحضارته وتراثه الوطني وتجديده».

ومن التحديات التي يواجهها الفكر الإسلامي **هو الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا** تصلح للتطبيق في العصر الحديث لأن الزمن قد تجاوزها، ليتم لهم بذلك فصل الدين كاعتقاد عن الجانب العملي والتطبيقي لمعاني هذا الاعتقاد حتى يصير بذلك الهدف الإستراتيجي الذي يسعى إليه المشككون للنيل من الفكر الإسلامي وذلك بفصله عن

الواقع والحياة ليصبح شأنه شأن أي فكر وضعي يستخدم فقط لأغراض الديكور والبروتكول.

من المشكلات التي تواجه الفكر الإسلامي **أيضاً نجد غياب المؤسسات العلمية** والتربوية التي يمكن أن تقدم الفكر الإسلامي في صورته النقية الخالصة التي تجعله بديلاً حضارياً، وأن وجدت هذه المؤسسات نجدها أيضاً غير مواكبة لزمانها «ان المؤسسات التعليمية المختلفة قد أخفقت في أن تقدم للأمة الإنسان المسلم السوي، فالجامعات التي أقيمت على النمط الغربي في بلاد المسلمين لم تر أن مهمتها إعداد العالم المسلم في سائر فروع المعرفة.. وأما المؤسسات التعليمية التي أضيفت عليها الصبغة الشرعية كالأزهر والجامعات المماثلة أو الكليات والمعاهد المشابهة لكلياته ومعاهده، فهي وان نجحت بشكل محدود في أن تقدم للأمة بعض المتخصصين الجيدين في بعض العلوم الشرعية، إلا أنها قد عجزت في أن تقدم للأمة علماء مسلمين قادة ومفكرين ومجددين يستطيعون أن يقدموا الإسلام للأمة من خلال كلياته ومقاصده وغاياته ويواجهوا التحديات المعاصرة وينتصروا عليها ولذلك انحسر الفكر الإسلامي».

من المشكلات التي تواجه الفكر الإسلامي **صعوبة تجديد الفكر الإسلامي** كما يرى د. الترابي أيلولة علم الأصول إلى مجرد معلومات لا تهدي إلى شيء وأيلولة الفقه إلى التشعيب والتعقيد بلا جدوى وذلك كله نتاج الحياة الدينية التي جنحت نحو الانحطاط كما يرى د. الترابي «لكن جنوح الحياة الدينية عامة نحو الانحطاط وفتور الدوافع التي تولد الفقه والعمل في واقع المسلمين أديا إلى أن يؤول علم أصول الفقه الذي شأنه أن يكون هادياً للتفكير – إلى معلومات – لا تهدي إلى فقه ولا تولد فكراً وإنما أصبح نظراً مجدداً يتطور كما تطور الفقه كله مبالغة في التشعيب والتعقيد بغير طائل».

من أخطر ما يواجه الفكر الإسلامي اليوم هو ما عرف بتاريخية معاني وأحكام القرآن الكريم، باعتبارها معاني وأحكام تجاوزها الواقع الذي تطور، وعفا عليها التاريخ وهذا

ما لم يذهب اليه المستشرقون ،كن ذهب إليه أبناء الإسلام في جرأة واضحة ترى أن نصوص القرآن التى ربطت بأسباب نزول، مهمتها تتعلق بنصوصها ولا تدخل ضمن القاعدة الفقهية القائلة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

.

من التحديات التي يواجهها الفكر الإسلامي كما يرى د. محمد عمارة أن الفكر الإسلامي المعاصر يقع بين غلو الإفراط والتفريط حيث أن السلفيين بنصوصيتهم الحرفية يمثلون أحد أطراف النقيض في فهم الفكر الإسلامي، بينما تأتي جماعة التفريط العلمانيين لتمثل الطرف الآخر

## مستقبل الفكر الإسلامي

أمام هذه التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي يرى بعض من يعملون في حقل الدعوة الإسلامية أن الفكر الإسلامي بخير، وأن مد الغزو الفكري قد انحسر ومن هؤلاء د. محمد سعيد البوطي «انحسار معظم الشبهات الفكرية والعلمية المختلفة التي كانت تغشى إلى وقت قريب على عقول كثير من الناشئة والمثقفين في طريق إقبالهم على الإسلام،إذ كان يدفع بها إليهم أناس احترفوا الغزو الفكري».

هذا التفاؤل قد يكون في مكانه إذا نظرنا حولنا (نرى أن مد الصحوة الإسلامية بدأ يشق طريقه بكل ثقة وينفض غبار سنين جمود الفكر ،حيث نجد تجديد الفكر الإسلامي أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الصحوة الإسلامية، (44) ولعل ثمرة هذه الصحوة الإسلامية أن تتلاقح الأفكار سواء على مستوى الجماعات الإسلامية والأحزاب، أو على مستوى الأفراد والمؤسسات الرسمية والشعبية ويتم التنسيق دفعاً للفكر الإسلامي وهذا ما أشار إليه طارق البشرى في مقاله تحت عنوان «الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر» «إن إيجابيات الاتجاهات المختلفة وفقاً لما يمكن أن يغذى بعضها بعضاً لتتراكم في إدراك الأمة كأدوار متنوعة في نسق واحد منتظم، وأن التنوع

مطلوب والكثرة نافعة متى أمكن نظم وظائفها لتجيب على الوجوه المتباينة للواقع الحال بتعقيداته وتنوعاته فيعين بعضها بعضاً ويصوب بعضها بعضاً بغير تنافٍ».

كذلك مما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الفكر الإسلامي هو أوبة بعض المتغربين إلى حظيرة الإسلام حيث تبين لهم خواء الفكر الذي لجأوا إليه، ولعل هؤلاء يمثلون خير من يعيد الثقة إلى المسلمين في فكرهم الإسلامي «ورغم الإمكانات الهائلة التي سخرتها السلطات الاستعمارية لدعم تيار التغريب ورعاية مسيرته ، والتي وضعت مؤسسات التعليم والتثقيف والإعلام تحت هيمنة نظرياته ورجاله.. ورغم الحصار الذى ووجه به تيار الإحياء والتجديد من أهل الجمود والتقليد ومن المتغربين جميعاً إلا أن الواقع الفكري الثقافي – بسبب الحاجة الحضارية للمشروع التجديدي وبسبب إفلاس أهل التقليد وعجزهم عن تقديم المشروع الحضاري، وبسبب فجاجة الرؤى المتغربة والرفض التلقائي والطبيعي الذي تقابل به من عقل الأمة ووجدانها، بسبب هذه العوامل وغيرها تخلقت في الواقع الثقافي ظاهرة هامة وذات دلالة ملفتة للأنظار ألا وهي: تراجع عدد كبير من الأعلام الذين تغربوا.. وانخراطهم في مرحلة نضجهم الفكري بتيار الإحياء والتجديد». وقد ذكر منهم الشيخ على عبد الرازق ومحمد حسين هيكل

## من أعلام الفكر الاسلامي

يعدّ مالك بن نبي واحداً من أعلام الفكر الإسلامي الذين حجب فكرهم عن الناس عدم اهتمام الدارسين بهم، فقد أمضى أكثر من ثلاثين عاماً متأملاً يحلّل ويضع شروط النهضة للمجتمع الإسلامي.

ولد مالك بن نبي عام 1905 في قسنطينة في شرق الجزائر وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينتي (تِبسّة) و (قسنطينة).

سافر عام 1925 إلى مرسيليا وليون وباريس بحثاً عن عمل ولكن دون جدوى، فعاد إلى الجزائر حيث عمل في تِبسَّة مساعد كاتب في المحكمة. وأتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف شرائح المجتمع أيام الاستعمار مما ساعد على تفسير ظواهر مختلفة فيما بعد.

وفي عام 1928 تعرّف مالك بن نبي على الشيخ عبد الحميد بن باديس (1887-1940م)، وعرف قيمته الإصلاحية. ثم سافر مرّة ثانية إلى فرنسا عام 1930، حيث سعى للدخول إلى معهد الدراسات الشرقية، ولكنه لم ينجح في الدخول، وسُمح له بدخول معهد اللاسلكي وتخرّج فيها مهندساً كهربائياً، بقي في باريس من عام 1939 إلى 1956، ثم ذهب إلى القاهرة للمشاركة في الثورة الجزائرية من هناك، انتقل إلى الجزائر عام 1963- بعد الاستقلال- حيث عيّن مديراً للتعليم العالي ولكنه استقال من منصبه عام 1967 وانقطع للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية كان يحضرها الطلبة من مختلف المشارب كانت النواة لملتقى الفكر الإسلامي الذي يُعقد كل عام في الجزائر، وظل مالك بن نبي يُنير الطريق أمام العالم الإسلامي بفكره إلى أن توفى في 31 أكتوبر عام 1973.

أما آثاره الفكرية، فيمكن القول أنه لم يكف عن التأليف منذ سنة 1946 حيث ألَّف أول كتاب له وهو (الظاهرة القرآنية)، وتلاه برواية (لبَّيك) 1947 وهي رواية فلسفية، ثم (شروط النهضة) 1948 ؛ (وجهة العالم الإسلامي) ؛ (الفكرة الأفروآسيوية) 1956 ؛

(مشكلة الثقافة) 1959 ؛ (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) 1960 وهو أول كتاب كتبه مالك بن نبي بالعربية مباشرة بخلاف معظم كتبه التي ألّفها بالفرنسية.

وفي عام 1960 كتب أيضاً كتابه (فكرة كومنولث إسلامي) ؛ (ميلاد مجتمع) 1962 ؛ (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي) 1969؛ (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) ؛ (مذكرات شاهد القرن) 1970؛ (المسلم في عالم الاقتصاد)، ونشر له بعد وفاته كتب (دور المسلم ورسالته في القرن العشرين) 1977؛ (بين الرشاد والتيه) 1978، ولمالك بن نبي آثار فكرية لم تطبع وهي في صورة مخطوطات مثل: (دولة مجتمع إسلامي)؛ (العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها)؛ (مجالس تفكير) وغيرها.

مشكلات الحضارة

اتجه مالك بن نبي نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم النامي باعتباره قضية حضارة أولاً وقبل كل شيء، يقول (إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى مستوى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها) (1).

لأن بناء الحضارة لا يتم عن طريق الصدفة، بل يتطلّب نظرة منهجية تعتمد على التحليل ومعرفة عوامل البناء. ولم يكن اهتمام ابن نبي بالحضارة من قبيل اهتمام الانثروبولوجي الذي يمثّل لديه كل شكل من التنظيم للحياة البشرية نوعاً معيناً من الحضارة، فالمسألة لا تعني عنده محاولة لاكتشاف حقائق جديدة تتعلّق بعلم الإنسان، ولكنها تعني لديه تحديد الطرق المؤدية إلى الهدف المنشود وهو تحريك العالم الإسلامي المعاصر، حتى يتخلّص من رواسبه ومعوقاته وينطلق بإرادة وفاعلية نحو استعادة مكانته في التاريخ والحياة وفق شروط معيّنة.

فالمشكلات التي تواجه العالم الإسلامي متعدّدة، وذلك يتطلّب أن نقوم بترتيبها منطقياً، حتى نعطي لكل نوع قيمته الحقيقية، دون أن نقع في شراك الشيء السهل أو شراك الشيء المستحيل مدركين بأن للحضارة قانونها الذي لا يجامل أحداً، وبذلك يستطيع العالم الإسلامي أن يشقّ طريقه نحو دورة حضارية جديدة.

ولقد استطاع مالك بن نبي أن يحدّد المشكلات الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي في الآتي:

- مشكلة الإنسان
- مشكلة التراب•

مشكلة الوقت (الزمن)

ولا ريب أن مشكلة الإنسان تأتي في المقام الأول، إذ أنه هو الذي يوجّه الأشياء ويبني الحضارة، ولكن الإنسان الذي يستطيع أن يصنع الحضارة هو الكائن الاجتماعي الفعّال الذي يتحرك ويسعى، والمقصود بالتراب هو المعطيات المادية التي يجب أن تستغل جيداً لصالح المجتمع، أما الوقت فهو الزمن الذي يتم تكييفه بحيث يصبح زمناً اجتماعياً.

إن مشكلات الإنسان والتراب والوقت هي المشكلات الأساسية التي تواجه كل مجتمع متخلّف، فإذا أراد أن يبني نفسه ويخرج من دائرة التخلّف فعليه أن يُولي اهتمامه لهذه المشكلات وأن لا يضيع جهوده بالاهتمام بالمشكلات الجزئية.

يقول مالك بن نبي ما نصّه: إن أول ما يجب علينا أن نفكّر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكّر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه، **فهو يحلّل الماء تحليلاً علمياً ويجد أنه يتكوّن** من عنصرين عنصر الهيدروجين وعنصر الأكسجين ثم إنه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركّب منه هذان العنصران ليعطيانا الماء، وهذا بناء وليس تكديساً، ذلك لأنه لو كدّس ملايين من الأطنان من الهيدروجين والأوكسجين ثم بقي ينتظر أن يتكوّن الماء فإنه لا يتكوّن وحده إلاّ بأن يبعث الله إليه شرارة من عنده.

فحينما نحلّل منتجات الحضارة ولنأخذ أياً منها ولتكن هذه الورقة فإننا نجدها تتكوّن من عناصر ثلاثة:

الإنسان: لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده من بغداد في العصر العباسي حيث اخترع الفكر الإنساني الورق.

**فالعنصر الأول إذن الإنسان.**

**أما العنصر الثاني**: فهو التراب إذ من التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها، ومعنى التراب هنا ليس المتبادر إلى الذهن فقد تعمّدت ألاَّ استخدم كلمة مادة.

لأن التراب يتّصل به الإنسان بصورتين: صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية، فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث التشريع. وهو يتّصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التي تتصل به كالكيمياء وغيرها فالتراب نعني به هذين الجانبين: جانب التشريع وجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني.

فالتراب بهذا المعنى يدخل في عناصر هذه الورقة.

وأما العنصر الثالث، فهو الزمن لأنه إذا صحّ ما أقول فلماذا لم يخترع الفكر الإنساني الورق قبل هذا التاريخ؟ إن الجواب على ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار، في مضمار علم التراب والنباتات فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمّر فكرة ابتكار الورق، إذن يجب أن نجهز عناصر ثلاثة حتى يتكوّن منها الورق.

الإنسان – التراب – الوقت، وهذا التحليل يوجب عليّ أن أقول:(منتج حضارة (وهنا ورقة) = إنسان + تراب + وقت) (2).

**ومقياس الحضارة عند ابن نبي أن الحضارة** هي التي تلد منتجاتها وليس العكس.

إذن ماذا نأخذ من الحضارة الغربية وماذا نترك ؟ يجيب مالك بن نبي فيقول: (إننا لا نستطيع أن نعيش منعزلين عن العالم، فحينما نقول إنه ينبغي أن نوجّه بحوثنا إلى هذه العناصر الثلاثة (إنسان وتراب ووقت) التي بها تبنى الحضارة فإن هذا لا يعني أن نترك ما

انتهى إليه الآخرون لنبدأ الطريق من أوله، إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا، فإذا لم نكن نستطيع صنع الآلات مثلاً فعلينا أن نستورد هذه الآلات من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا.

على أنه إذا كان من العبث أن أركب الجمل في العصر الذي انتشرت فيه السيارات، فإنه من العبث الأكبر والتبذير للأموال أن أقتني أفخر السيارات وأعظمها لأنه لا حاجة بي إلى هذا النوع من السيارات طالما استطيع الاكتفاء بأقل منها درجة، فنحن في مرحلة البناء ينبغي لنا أن نقتصد في إمكاناتنا حتى نستخلص منها أقصى ما نستطيع من فائدة) (6).

وعن الثقافة يرى مالك بن نبي أن الأفكار الغربية الليبرالية أو الماركسية هي انعكاس لواقع معين سواء أكان هذا الواقع حضارياً أو أيديولوجياً، وهذه الأفكار غير مجدية لواقعنا العربي الإسلامي، وليس ذلك لخطأ هذه الأفكار بالنسبة لمجتمعاتها، ولكن ذلك لعدم اتّساقها مع أبعاد هذا الواقع العربي الإسلامي، ويحاول أن يضع تعريفاً شاملاً للثقافة يتّسق مع واقعنا العربي الإسلامي فيقول عن الثقافة: (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته) (7).

والثقافة عنده ليست مجرّد علم يتعلّمه الإنسان في المدارس أو من الكتب بل هي جوّ من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحدّد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء، ويرى أن الثقافة كنظرية للتغيير وإعادة البناء لابدّ وأن تُصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر الآتية:

أولاً: التوجيه الأخلاقي: فهو يرى أن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بمقدار ما يزيد فيها من تأثير الأخلاق أو نقصانها وما يعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع وربط العلم بالأخلاق حيث يهتم بالأخلاق من الناحية الاجتماعية.

ثانياً: التوجيه الجمالي: فالقبح يعبر أساساً عن تخلّف الثقافة، وعندما نشاهد خرقاً في كساء أحد المتسوّلين يجب أن نشعر بوجود خرق في ثقافتنا، والإحساس صورة نفسية للجمال والمضمون الجمالي في كرامة الفرد يؤثر على فعالية المجتمع والجمال هو الإطار الذي تتكوّن فيه أية حضارة. وإن كان لم يتطرّق لمعنى الجمال من الناحية التطبيقية.

ثالثاً: المنطق العلمي: ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسّد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، ويرى أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة بل منطق العمل والحركة فهو لا يفكّر ليعمل بل ليقول كلاماً مجرداً.

رابعاً: التوجيه الفني أو الصناعة: وهو يقصد بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، أو أن التغيير والبناء الاجتماعي في جوانبه العلمية والصناعية متوقّف على المناخات والأسس الثقافية التي تفرز الروح العلمية المنشودة.

بهذه العناصر الأربعة تستكمل الثقافة بناءها في المجتمع وترتقي حينئذ إلى مستوى الحضارة. ويرى مالك بن نبي أنه (ليس بنافع لنا أن نفكّر في الأسباب التي تدخلنا إلى باب الحضارة من غير أن نواجه أولاً وقبل كل شيء الوسائل التي تجعلنا نخرج من باب التخلّف).